شخصيات أدبية

أنطون تشيكوف

أنطوان بافلوفيتش تشيكوف

[٢٩ يناير ١٨٦٠ ـ ١٥ يوليو ١٩٠٤]

أ.هناء عبدالعاطى عباس

طبيب وأديب روسى، وكاتب مسرحى ساهم بشكل فعال فى انتشار وزيادة أهمية القصة القصيرة والمسرحية كأنواع أدبية فى روسيا والعالم .. ويعد رائد الواقعية فى القصة القصيرة. كتب عدة مئات من القصص القصيرة وتعتبر الكثير منها إبداعات فنية كلاسيكية، كما أن مسرحياته كان لها أعظم الأثر على دراما القرن العشرين.

يعد أنطوان تشيكوف أبًا لفن القصة القصيرة فى العالم، مما يساعد إخصائى المعلومات فى مكتبات الأطفال على إطلاع أطفالنا على ثقافة من الثقافات العالمية؛ مما يوسع آفاقهم باطلاعهم على ما تضمه هذه القصص من معان وقيم خاصة بالرحمة والتعاطف، إلى جانب تصوير معاناة الطفولة بسبب ظروف الحياة القاسية، وما يتضمنه ذلك من نقد اجتماعى، إلى جانب الطرافة والتشويق النابعين من فهم الكاتب لطبيعة الطفولة وتصرفاتها التلقائية التى يشترك فيها أطفال العالم على اختلاف بيئاتهم .

بدأ تشيكوف الكتابة عندما كان طالبًا فى كلية الطب فى جامعة موسكو ولم يترك الكتابة حتى أصبح من أعظم الأدباء، وأيضًا استمر فى مهنة الطب، وكان يقول : "إن الطب زوجتى والأدب عشيقتى".

حياته وطفولته

ولد تشيكوف في ميناء محلي صغير على بحر أزوف يسمى تاجنروج جنوب روسيا، ابنا لتاجر (يحظى بمكانة ثالث أهم تاجر في طائفة التجار)، وحفيدًا لعبد اشترى حريته من ماله، وكان تشيكوف الابن الثالث من ستة أبناء. دخل أنطون مدرسة يونانية للصبيان، وفى عامه الثامن أرسلوه إلى جيمنازيوم (نوع من المدارس الثانوى فى بعض أجزاء أوروبا يوفر التعليم

إلى جانب التعليم الرياضى)، لكنه أثبت فشلاً فى مسألة النشاط والرياضة، واشتهر هناك بتعليقاته الساخرة ومزاحه وبراعته في إطلاق الألقاب الساخرة على الأساتذة، وكان يستمتع بالتمثيل فى مسرح الهواة وأحيانا كان يؤدى أدوارا في عروض المسرح المحلي.

وقد بدأ فى هذه السن في كتابة "مواقف" قصيرة، وقصص هزلية فكاهية. ومن المعروف أنه ألف في تلك السن أيضًا مسرحية طويلة اسمها "دون أب"، لكنه تخلص منها فيما بعد. كان أنطون عاشقًا للمسرح والأدب منذ صغره، وحضر أول عرض مسرحي في حياته (أوبرا هيلين الجميلة لباخ) عندما كان في الثالثة عشرة من عمره، ومنذ تلك اللحظة أضحى، عاشقا للمسرح، وكان ينفق كل مدخراته لحضور المسرحيات، وكان مقعده المفضل في الخلف؛ نظرًا لأن سعره أقل(٤٠ كوبيك فضيًا)، وكانت الجيمنازيم لا تسمح لطلبتها بالذهاب إلى المسرح إلا بتصريح خاص من المدرسة، وكان هذا التصريح لا يصدر غالبا بسهولة، وليس سوى في العطلات الأسبوعية فقط.

في عام ١٨٧٦ أعلن والد تشيكوف إفلاسه بعد إفراطه في الحصول على التمويل لكي يبنى منزلاً جديدًا مما دفعه إلى السفر إلى موسكو مصطحبًا ابنيه: " نيكولاى، وألكسندر" لتجنب حبسه بسبب ديونه تاركا باقى العائلة تعانى الفقر، فلم يبق أمام تشيكوف إلا بيع ممتلكات الأسرة وإنهاء تعليمه، وقد عمل فى تلك الأثناء فى عدة وظائف، منها معلم خصوصى وفى اصطياد وبيع طيور الحسون، وتصميم الرسومات التخطيطية للجرائد. وكان يقوم بإرسال كل مدخراته لعائلته مقرونا برسائل تتسم بروح الدعابة لرفع معنويات العائلة، وخلال هذا الوقت، قرأ على نطاق واسع وبشكل تحليلي، بما في ذلك ثيربانتسوإيفان، و تورغينيف، و جونتشاروف، وآرثرشوبنهاور، إلى جانب كتابة مسرحية كوميدية بعنوان "يتيم".

في عام ١٨٧٩انضم تشيكوف لعائلته في موسكو، بعد قبوله في كلية الطب في جامعة موسكو.وبينما كان لايزال طالبًا بدأ بنشر رسوم هزلية فى المجلات الهزلية ليساعد فى الإنفاق على عائلته.

وفى تلك السنة أصيب تشيكوف بالإرهاق واعتلال الصحة فذهب إلى أوكرانيا فتحسنت صحته بفضل جمال سهوب بحر قزوين وبعد عودته بدأ بكتابة رواية "السهوب"، ونشرت فى صحيفة "فيستنيك سيفرنى"، وقد تم تسميتها بقاموس شعرية تشيكوف، وقد أظهرت هذه الرواية قدرًا كبيرًا من جودة تخيله الناضجة وفازت هذه الرواية بعد ذلك فى مجلة أدبية

بعد أن أنهى دراساته فى ١٨٨٤ بدأ فى ممارسة مهنة الطب؛ ولذا نرى عددًا كبيرًا من الأطباء بين أبطال قصصه مثل: آستروف، و ديموف، و إيونيتش، أبطال سلسلة القصص "جراحة " السرير رقم ٦"، وغيرها الكثير.

وبحلول عام ١٨٨٧ بدأ جمهور القراء يعترف بموهبته الأدبية، ولم يترك انهماكه فى الكتابة إلا وقتًا قصيرًا لممارسة الطب، سافر تشيكوف الى جزيرة سخالين، وأتاحت له تلك الرحلة فرصة كبيرة للوقوف على معاناة أهالي الجزيرة التي تمكن من نقلها بتفاصيلها المحسوسة إلى العالم الخارجي إلى أبعد الحدود من خلال قصته المشهورة (الجزيرة : رحلة إلى سخالين)، وكان قد عاد من رحلته عبر سنغافورة والهند وسيلان وقناة السويس. ولم يتحول إلى كاتب متفرغ إلا في سنة ١٨٨٦ ليحصل بعدها بسنتين على جائزة "بوشكين في الأدب".

وفى ١٨٩١ اشترى تشيكوف منزلا صغيرًا فى جنوب موسكو اسمه ميليخوفو، والذى تحول فيما بعد إلى متحف، حيث كتب فيه بعضًا من أفضل قصصه القصيرة

عانى تشيكوف من الإصابة بالدرن لسنوات، حيث مرض بداء السل منذ أن كان عمره ١٣عامًا، وكان يعرف تشخيص مرضه، لكنه لم يعالج نفسه نهائيًا. وفى ١٨٩٧ انتقل لأسباب

صحية إلى "يالتا" على البحر الأسود، حيث المناخ أكثر اعتدالا. وفى ١٩٠١ كان حفل زفافه على الممثله المعروفه "أولغا ليوناردووفنا"

القيمة الفنية فى أعماله

تعلم الكثير من كتاب المسرحيات المعاصرين من تشيكوف كيفية استخدام المزاج العام للقصة والتفاصيل الدقيقة الظاهرة وتجمد الأحداث الخارجية في القصة لإبراز النفسية الداخلية للشخصيات

وتأتي مسرحيات (العمة فانيا) ١٩٠٠ التي تعبر عن مأساة سونيا والعمة فانيا اللتين تذهب أحلامهما وهما يعملان للآخرين في مقدمة هذه الأعمال المهمة، بالإضافة إلى (الأخوات الثلاث) التي تجسد مأساة الأخوات اللاتي يكتشفن تفاهة الحياة التي يعشنها، فيعمدن إلى مواساة بعضهن (يمكن مقارنة هذه القصة بقصة الأخوات برونتي). وفي هذه الأعمال المسرحية ينجح تشيكوف في المزج بين السخرية والفكاهة والتراجيديا، تاركًا مساحة كبيرة للخيال وللحركة الدرامية لكي تقهر بما يرمز إليه بقوة الاحتمال لدى شخصياته.

لا يمكن أن يختلف اثنان على أن ما تركه لنا أنطوان تشيكوف هو هذه الثروة المسرحية المتميزة التي تفوق مقاييس الزمان والمكان اللذين كتب فيهما المؤلف المسرحي والقصصي الشهير أهم أعماله على الإطلاق، وهو ما تشير إليه على نحو واضح ترجمات العديد من هذه الأعمال، وفي مقدمتها إنجازاته المسرحية. ونأتي هنا على ذكر ترجمة المسرحي الأمريكي المتخصص في تدريس اللغة الروسية بول شميدت لمجموعة من هذه الأعمال في كتابه (مسرحيات أنطوان تشيكوف) الصادر في ١٩٩٨

على الرغم من ارتباط اسم تشيكوف بالقصة القصيرة إلا أن شهرته الحالية تقوم الآن على ما قدمه في مجال الكتابة المسرحية، فبعد مراجعة ستانسلافسكي لمسرحية (النورس) في سنة ١٨٩٨ لقيت أعماله الأخرى ترحيبا حارًا من قبل جماهير النقاد والمتفرجين.

أهم مسرحياته

له أربع مسرحيات كبرى بعنوان :

النورس،و العمة فانيا،و الأخوات الثلاثة ،وبستان الكرز

أهم مؤلفاته القصصية:

قصاصة،والألم،والبدين والنحيف، والحارس الليلى، والحرباء،والصبى الشرير،والكلب، و قصص مختارة، و لمن أشكو كآبتى، وشاية، ونشوة، و الساذجة، و الكبش والأنسة، وبعد المسرح، وتوفاه الله، و زوجة الألم، وفاة موظف، وعنبر رقم ٦

من القصص القصيرة.

فانكا، والصبيان، وفى البيت،والأطفال.

نماذج من القصص القصيرة

قصة فانكا

وهى عن صبى يكتب عن حياته القاسية إلى إنسان قريب منه، إلى جده، وذلك فى ليلة عيد الميلاد، عندما يعيش المرء المعاناة، يتذكر ما هو جيد، يشعر بالمأساة: لماذا أنت فى هذا اليوم توجد عند الغرباء وليس مع الجد. أصحاب البيت أولئك الذين يجرون الصبى لأتفه شيء، قد ذهبوا إلى صلاة الصبح. فانكا وحيد وبإمكانه كتابة رسالة من غيرعجلة. الصبى يكتب وهو يجثو على ركبته أمام المقعد. النافذة مظلمة، تنعكس من خلالها شمعته، كما لو أنها شاشة، ترتسم فى مخيلته صورة الجد الحبيب، الكلب فيون، وبفرح تلألؤ النجوم المتناثرة فى السماء. ودرب التبان يظهر بوضوح، كما لو أنه قبل العيد قد تم غسله ومُسحَ بالثلج.

قصة قصيرة للغاية. لكن كم فيها من الألم والرقة والسذاجة القدسية للصبى. والنهاية الثاقبة. فالصبى، بعد أن ألقى بالرسالة فى صندوق البريد، وقد داعبته آمال حلوة رائعة، ينام بعمق دون أن يعرف أن رسالته المعنوية باختصار" إلى القرية، إلى الجد" لن تذهب إلى أى مكان،ولن تصل لأى أن كان.

وفاته

وفى عام ١٩٠٤ نصحه الأصدقاء بالسفر للعلاج فى ألمانيا، حيث توفى أنطوان بافلوفيتش تشيكوف، بعيدًا عن الوطن وعن الأصدقاء ثم تم نقل جثمان الكاتب الروسى العظيم إلى روسيا. وتم دفن تشيكوف فى مقبرة نوفوديفيتشى فى موسكو، وكانت آخر رسالة كتبها إلى أخته: ساعدى الفقراء، احفظى الوالدة، عيشوا بسلام كإنسان متواضع ونظيف.